

# تاريخ ونشأة الكتابة العربية



اسم الطالب /

عبد الله محمد جابر آل عمار

## المقدمة

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ، سبحانك اللهم لا أحصي ثناء  
عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا  
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

دفعني الحب والولاء لهذه اللغة العريقة لأن اكتب هذا البحث لاجتلاء  
أمور كثيرة قد تغيب عن بال الكثير ، وبفقدانها تظل بعض الحقائق مبهمة  
ولو لبعض الوقت عند البعض أو الكثير من المتعصبين بنظراتهم  
المتحيزة .

فإذا ما أردنا أن نعرف عن لغة ما فإننا بذلك نبحث في التعرف  
عن حضارة أمة .

ويجب علينا أن نجهد أنفسنا فنبحث عن جذور وماضي هذه اللغة ، وما  
دام لهذه الأمة تاريخ فإن لها لغة ، ولا بد لهذه اللغة من عراقة ، وإذا  
ما ذكرت اللغة فإننا نعني بذلك الخط الذي هو دليل معرفتنا بها .  
فالخط هو تاريخ الأمة وتراثها ، وخطنا العربي عماد حضارتنا ، وفخر  
أمتنا أمام بقية الأمم .

والخط الذي يمثل هذه اللغة سيظل باقياً ما بقيت أمته أجد الأبدية ،  
ودهر الداهرين ، قد كتب له الخلود منذ الأزل .  
فعندما أراد الآخرون أن يكيدوا للغتنا ما يريدون وقفه الغيورون  
على هذه اللغة يدافعون عنها ببراهينهم الناصحة وحبهم الدامغة  
مثبتين عراقتها فدحروا بذلك كيدهم وأصبحت أبجديتها واضحة بعد شذ  
الهمم والكفاح عنها .

لقد تعرضت لغة الضاد إلى محاولات الطمس والأبادة ، قام بها  
أعداؤها من الشرق والغرب ، لكن حروفها الثمانية والعشرين بقيت شامخة  
أمام الرياح العاتية ؛ امتداداً لبحر ليس له ساحل يحده ولا قاع يسبر عموره .  
فكان خطنا العربي الذي به أبعد الله - عز وجل - عن القرآن الكريم  
كل لبس وتحريف وحفظه من الأباطيل .

لقد أتضح لي جلياً أننا مقصرون في واجبنا تجاه لغتنا - هذه اللغة  
التي سمونا بها - وأصبحنا في مستوى الذي لا يملك البرهان ليثبت عن  
طواعية جدارة لغته ومكانتها التاريخية .

لذا رأيت لزاماً عليّ أن أبحث ما استطعت بحثه لا ثبات حقيقة تاريخية  
ثابتة وهي أن الخط العربي هو كل شيء بالنسبة لنا ، هو أمانة تاريخية ،  
يجب أن نصونه ونطوره ، نفخر ونعتز به .

## تاريخ ظهور الكتابة :

يعتقد المؤرخون بأن الكتابة قد ظهرت في أواخر الألف الرابع وأوائل الألف الثالث قبل الميلاد في سومر ، أي في العصر العبري النحاسي الأخير ، لتضع حداً فصماً بين ما يسمى محصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية . وقد بدأ السومريون كتابتهم بالاعتماد على الرسوم والأشكال المبسطة وعلى رُفَم ( ألواح طينية ) ، مستخدمين قلماً خشبياً رأسه مثلث الشكل دقيق ، أخذ بعدها شيئاً من الغُلط ، واستمر حتى اختفاء الكتابة المسمارية عام ٥٠ ق . م .

وكانت الكتابة تتم على اللوح وهو في حالة الطري قبل جفافه ، ليؤخذ بعد ذلك ويُسوى ويتصلب ، فيصعب كسره ويسهل حفظه وتداوله ، وبطبيعة الحال ولكون المسامير خشبياً فإن ذلك منع من إمكانية الكتابة على العجر أو الألواح المعدنية .

ولما كانت الخطوط التي يخطها قلم كهذا تتأثر بشكل رأسه فإنها كانت تبدو وكأنها رسوم مسامير فأطلق عليها اسم { الكتابة المسمارية } أو { الإسفينية } أحياناً . أما عن الرسوم نفسها وكيفية استعملت كجداية جيدة للكتابة ، فإنه قد تم استلها إذ ذاك من الوسط المحيط ، من الإنسان وبيئته ، والحيوان والنبات بشكل مختصر بعض الشيء ، فالتعبير عن البقرة كان يكفي أن يرسم رأسها فقط .

فالكتابة إذاً ظاهرة إنسانية ، وواحدة من أهم معالم الحضرة للإنسان القديم في محاولته للتعبير عن رغباته ومراده ، وهي وإن كانت في

حقيقتها مخاطبة شكلية ( إن اعتبرنا اللغة مخاطبة لفظية ) فإنها قد أعطت مداً ودفعاً عظيمين لتقدم وتطور الفكر الإنساني ، حققته من إمكانية اختزان وتصنيف المعارف الجديدة ، وبالتالي إمكانية القفز للبحث عن معارف أكثر حداثة ، فالعقل الإنساني في بداياته كان يستحيل عليه أن يحتفظ بكل المعلومات التي جمعها ويطمئن عليها خوفاً النسيان .

## نشأتها :

إن لنشأة الكتابة ارتباط وثيق بالإنسان منذ أن عايش على الأرض ، إذ لها أهميتها التي لا تقل أهمية عن بقية المراحل التاريخية المرتبطة بحياة الإنسان عندما عرفه إنسانيته .

إنها ظاهرة قديمة العهد عند الإنسان احتاج لها لتكون وسيلة للتفاهم مع بني جنسه وسائر المخلوقات ، ولقد جهد الكثير من العلماء والمفكرين في بحوث مضمينة بغية التعرف على تاريخ اختراع الكتابة ، فتبين أنه من الصعب تحديد زمن هذا الاختراع أو الشعب الذي عرفه الحروف . وليس من شك أن للكتابة أثرها الكبير كما هو الحال في بقية اختراعات الإنسان واكتشافاته التي غيرت مجرى تاريخه .

قال الدكتور جواد علي : { واختراع الكتابة من الاختراعات الكبرى التي غيرت مجرى البشر ، وهو اختراع لا تقل أهميته من أعظم الاختراعات والاكتشافات والمغامرات التي قام بها الإنسان منذ يومه الأول حتى هذا اليوم } .

فمنذ أن كان الإنسان كائنات الكتابة ، له علاقته القوية بها ؛ لذلك احتاج الإنسان لتطويرها حيث أدخل عليها الكثير من التعديلات والتحسينات أراد منها الإنسان الأول الموضوع والبيان ؛ لذلك مرت الكتابة لدى الإنسان منذ الأزل بأطوار خمسة ذكرتها بعض مصادر الخط العربي ألا وهي :-

1- الطور الصوري : ويتمثل المرحلة التعبيرية الأولى للإنسان ، لجأ إليها هذا المخلوق حين وجد ، ويتمثل في رسم المادة المراد التعبير عنها ، فإذا ما أراد الإنسان أن يقيم لغيره وجبة غذاء مثلاً ، فإنه يرسل له صورة صحن يحمل شيئاً من الطعام .

2- الطور الرمزي : جاء هذا الطور بعد مجز الطور السابق عن التعبير وتوفير الحاجة للإنسان نفسه الذي باتت محبباً للتطور ، وذلك من سنة الحياة ، فكان لذكاء الإنسان في استبدال الطور الصوري إلى الطور الرمزي وحبه للجديد ، كل ذلك دفع الإنسان إلى ذلك .  
وهذا الطور هو عبارة عن رموز أوجدها الإنسان ليتعرف بها على معاني الحياة ، فإذا ما أراد أن يعبر عن آلام جوعه مثلاً ، فإنه يرسم هيكلًا عظميًا أو جسمًا بالياً ، تأكيداً على ما يؤثره الجوع على الإنسان من مخاض يتمخض عنه الضعف والملاك .

3- الطور المقطعي : وجاء هذا الطور بعد الطور السابق ، وهو الطور الرمزي ، ويعتبر الطور الذي بدأت فيه وبه مرحلة معرفة التهجي ، فكان له وضوح في الكتابات البابلية والمصرية القديمة .

ويتكون هذا الطور من صورة وصوت ، فإذا ما أراد الإنسان في ذلك العهد أن يكتب كلمة ما فإنه سيكتبها على صورة مقطع صوتي ويتمثل في رسم شكل معين يستدل به من معنى الكلمة ، فرسمه للمقطع طريق واضح واستدلال بين على تهجي الكلمة من خلال أصوات الحروف .

وبتعبير أوضح أن هناك ازدواجية في المعنى تتمثل في الرسم والتعبير ، فالرسم نفسه يعبر عن مضمون ، فعندما يرسم ذلك الإنسان صورة فهو لا يعتبرها بحد ذاتها مقطعاً هجائياً بقدر ما يعتبر إيجاء تلك الحروف ومن خلال الرسم فذلك ما يُهدف إليه . فإذا ما أراد الإنسان مثلاً أن يكتب كلمة ( رأس رمان ) فإنه يأخذ المقطع الأول من هذا الاسم وهو كلمة ( رأس ) ويرسم مكانه رأساً ويعتبره مقطعاً ووسيلة إلى تهجي حروفه الكلمة المقصود معرفتها عن طريق أصوات حروفها .

٤- الطور الصوتي : ويتمثل في هذا الطور اتخاذ الصور كرمز للتهجي ومعرفة للمعاني من خلال رسم الصورة ، وما توحى له من مضمون . وهذا الطور يمثل ما كنا نتدارسه في مدارسنا الابتدائية سابقاً ضمن منهج اللغة العربية ، فصورة الأرنجب رمز إليها بحرفه الألف ، وصورة البطة بحرفه الباء ... وهكذا .

وفي الحقيقة الأمر أن هذا الطور يعتبر الجسر الذي عبر عليه الإنسان إلى طوره الهجائي بعد أن أصبحت اللغة قواعدها .

٥- الطور الهجائي : ويتمثل في هذا الطور مرحلة تقدم الكتابة . فعندما اشتدت الحاجة إلى التقدم من الناحية الكتابية لمسايرة العصر جهد الإنسان من أجل تطوير لغته ، فابتدع علامات شبيهة بالمسامير العمودية والمائلة والأفقية وكان ذلك في منطقة وادي الرافدين عند السومريين .

لقد بلغت هذه العلامات ستمائة علامة في حدود (٣٢٠٠ ق . م ) ،  
ثم اختصروها إلى ( ١٥٠ - ١٠٠ ) علامة ، لكن الصعوبة ظلت سائدة في  
تعلمها .

وفي كتابه ( مصور الخط العربي ) قال مؤلفه عن هذا الطور : ويتمثل  
المرحلة التعبيرية الأولى للإنسان ، لجأ إليها هذا المخلوق حين وجد ،  
ويتمثل في رسم المادة المراد التعبير عنها ، فإذا ما أراد الإنسان أن  
يقيم لغيره وجبة غذاء مثلاً ، فإنه يرسل له صورة صحن يحمل شيئاً من  
الطعام . ولكن لم تصل إلى درجة السهولة في التعلم - ويقصد هذه  
العلامات - وبوجه إجمالي وكما نرى من صور الخط المسماري الأول انه  
خليط بين الطريقة الصوتية الرمزية . خلافاً للطريقة الهيروغليفية .

ويقول أصحاب النظرية البابلية ( من علماء نشوء الكتابة ) أن الخط  
الفينيقي مشتق من الخط المسماري . ثم أن ما عثر عليه في أو تاريته من  
كتابات بالخط المسماري على أساس هجائي غير النظريات الكلاسيكية ،  
وأن ما كتب في موضوع الصياء أصله ، نشأته ، تطوره ، يكون مكتبة  
عامرة جداً } .

ثم يضيف قائلاً : { ويقول المؤرخون : أن أول من تمكن من حل رموز  
الكتابة المسمارية العالم ( كروتفندك ) سنة ١٨٠٢ م واستطاع من تنظيم  
أبجديتها الكاملة في الأكاديمية } .

هذه هي أطوار الكتابة الخمسة التي مرت بها العقبان التاريخية  
للكتابة ، وهي ، مراحل هامة كان لها الدور الكبير في الكشف عن  
أصول الكتابة وإلى ما وصلت إليه في الوقت الحاضر وذلك بفضل إرادة  
الإنسان ورغبته في تطوير لغته .



وإذا ما أردنا البحث عن لغة ما فعلينا أن نبحث أولاً وأخيراً عن المراحل التاريخية التي مرت بها هذه اللغة لكي يجدر بنا الوصول إلى ما نصبوا إليه .

ومن المعروف أنه جرى اصطلاح الإنسان في تعامله مع بني جنسه على صور وأشكال ثم تحولت إلى رموز ثم إلى حروف ، وشكلت الحروف الكلمات فتكونت اللغة ، وهذا ما أثبتته الحقائق العلمية باكتشافاتها استناداً للحقبات التاريخية التي مرت بها الكتابة ، والمؤرخون كتبوا الكثير عن أصل الكتابة في العالم كالكتابة الميروغليفية في مصر والمسماوية في منطقة ما بين النهرين .

ويجدر بي أن أتطرق إلى أصل كتابتنا العربية والتي يمثلها خطنا العربي الخالد . «وما يهمننا هنا هو التأكيد على أن هذه الأمة -أي أمتنا العربية- كانت أول من أوجد الكتابة ، وأحرف الهباء في العالم» .

## الخاتمة

### بسم الله الرحمن الرحيم

بعد جهدٍ لم يكن جهداً توخيت فيه السهولة في التعبير والبساطة في الأسلوب ليصل إلى القارئ بصورته الواضحة مما يساعد على فهم معلوماته . وقد وضعت في الاعتبار النقل بأمانة بكل ما أستطيع ذلك إذ أن هذا سمة أساسية ودعمامة قوية في كتابة البحوث .

وبعد هذا كله لا بد للإنسان أن يقف مع نفسه وقفة المتأمل ، يراجع نفسه ويعيد حساباته فيجدد - أخيراً - نفسه مقصراً ممما بلغ من هدفه واحتلى من مرتبة ، لذلك أرى - وقد انتهيت من كتابة بحثي - بأنني لم أصل إلى الغاية ولم أفئ بالهدف ، فمادة البحث خفيفة والمصادر قليلة . ومما وصلت لغاية فلا شك أن لي أخطائي اللغوية والفنية ، وهذا قدر محتوم يتعرض له كل باحث .

وأخيراً الحمد - جل وعلا - على نعمائه في الشدة والرخاء وأدعوه التوفيق لكل العاملين المخلصين ، والصلاة والسلام على أعظم خلق الله قاطبة محمد وعلى آله وصحبه الكرام .

وما من كاتب إلا سيفنى ويبقى الدهر ما كتبت يداهُ

• **وقل اعملوا فسير في الله عملكم ورسوله والمؤمنون**“

# فهرس المرآع

المؤلف	المرآع	الرقم
أحمد عبد الله سرحان	حرفنا العربي وأعلامه العظام	١
بلال عبد الوهاب الرفاعي	الخط العربي تاريخه وحاضرُه	٢

# فهرس البحث

الصفحة	الموضوع	الرقم
١	تاريخ ونشأة الكتابة العربية	١
٢	المقدمة	٢
٤	تاريخ ظهور الكتابة	٣
٥	نشأة الكتابة العربية	٤
٦	الطور السوري	٥
٦	الطور الرمزي	٦
٦	الطور المقطعي	٧
٧	الطور الصوتي	٨
٧	الطور الهجائي	٩
١٠	الخاتمة	١٠
١١	فهرس المراجع	١١
١٢	فهرس البحث	١٢